# الأبعاد الإبداعية في كتابات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

**د.فتوح محمود**
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)
كلية الآداب والفنون قسم الأدب العربي

## Abstract

Algeria gained one of the symbols of literary, intellectual and cultural Renaissance seen as a pole of the reform movement. He is the most distinguished scholar Mohamed Al Bachir Ibrahimi ,as a large sea as it is a coast and a rising star in Algeria by the light of knowledge ,who devoted most of his life to the service of religion and to defend the nation's identity, language and people of his homeland by his high literary style.

Hence this study stands at a creative work and explains his approach in synthesis of myriad perspectives to determine the internal structure in Ibrahimi's text and a focus on the most prominent orbital links, technical dimensions and language issues that distinguished him from the other writers of the time .

**Keywords:** Dimensions , Creativity , Ibrahimi ,criticism , rhetoric.

## Resume:

L'Algérie a gagné un symbole des symboles de la renaissance intellectuelle, littéraire et culturelle, car, Dieu lui a octroyé un pôle des pôles du mouvement de réforme, il est l'exploit du monde Mohamed El Bachir El Ibrahimi que l'on considère vraiment comme un océan sans côte et une étoile brillante en Algérie. Il a consacré sa vie au service de la religion et à défendre l'identité et la langue de la nation, ainsi que pour son peuple et son pays, avec un style de haut niveau littéraire.

Notre proposition propose d'analyser le travail créatif dans ses écrits, elle essaie d'éclaircir sa méthode selon des points de vue multiples pour déterminer la structure interne de son texte. Elle se concentre aussi sur les liens argumentaires, les dimensions techniques, les questions linguistiques et littéraires qui lui distinguait des autres écrivains de son époque.

**Mots clés :** dimension, créativité, méthode, critique, rhétorique.

## الملخص:

لقد كسبت الجزائر رمزا من رموز النهضة الفكرية والأدبية والثقافية، ومنَّ الله لها قطبا من أقطاب الحركة الإصـــلاحية، فهو العالم الفذ محمد البشير الإبراهيمي الذي يُعد بحق بحر خضم ليس له ساحل، ونجم ساطع في دجى الجزائر، والذي أفنى جل حياته لخدمة الدين والدفاع عن هوية الأمة ولغتها وعن شعبه ووطنه بأسلوب أدبي رفيع، من هنا جاءت هذه الدراسة لتسجل العمل الإبداعي في كتاباته وتوضح منهجه البديع في التأليف من رؤى متعددة، بغية تحديد البني الداخلية للنص عنده، والتركيز على أبرز السمات الفنية والبلاغية والنقدية التي تميز بها الكاتب والأديب عن غيره من كُتاب عصره.

**الكلمات المفتاحية:** ألأبعاد، الإبداع، الإبراهيمي، النقد، البلاغة.

**مقدمة:**

يعدّ الإبراهيمي (عليه سحائب الرحمة) أسطونا من أساطين الأدب العربي في العصر الحديث، وفحلا من فحول العربية في عصرنا الحاضر، فهو مفخرة من مفاخر الجزائر والعالم العربي والإسلامي بكافة ورجل من رجال حركة النهضة والإصلاح بخاصة، فقد أُشرب حبّ العربية منذ عهد التمائم إلى عهد العمائم، فهو بحق من الرجال العظماء الذين شغلوا الناس على اختلاف مناهجهم وتنوع ثقافتهم، بحيث ملأ نفوسهم بمشاعر ما تزال حية في ضمائرهم وذواتهم، فلم يكن كبقية العظماء، "بل كان أمة، كان جيلا، كان عصرا، كان من أولئك الأفذاذ القلائل، الذين أملوا إرادتهم على الحياة، فأخضعوا الأيام لمشيئتهم فكيفوها كما أرادوا، فأخرجوا بلادهم من مصير شاءه لها الظالمون، إلى مصير رسموه لها بأنفسهم"[1]، وقد صدق أبو نواس حينما قال[2]:

**وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد**

فالإبراهيمي رجل ألمعي ملمّ باللغة، نهل من ينبوع ثرّ لا ينضب معينه، وصورة من صور الإبداع الأدبي، وقامة من قامات البيان العربي قلّ مثيلها في الخطاب العربي المرسل، وقد قال فيه الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:"كان لكلماته دوي بعيد المدى، وكان تمكنه من الأدب العربي بارزا في أسلوب الأداء وطريقة الإلقاء، والحق أن الرجل رُزق بيانا ساحرا، وتأنقا في العبارة يذكرنا بأدباء العربية في أزهى عصورها"[3]، فإذا خاطب الناس أو كتب شيئا "ألهب النفوس حماسة وجعل القلوب تشرئب إليه للاستمتاع بفصاحة لسانه وحر بيانه، يدخل المجلس كزهرة ذابلة فإذا هو بعد الأخذ بناصية الكلام أشبه شيء بكوكب دري، ومن عجيب أمره أيضا أنه كان على تبحره في العلم لا يريد أن يؤلف كتابا ينسب إليه، سألته _تلميذه جميل صليبا_ عن سبب ذلك, فقال: أمليت على تلاميذي كتبا كثيرة فبعضها نشر بأسمائهم وبعضها لم ينشر، وإذا كنت قد سمحت لتلاميذي ينشر بعض كتبي المغفلة فمرد ذلك إلى رغبتي في نشر العلم، إن المؤلفين الذين يحرصون على نشر الكتب بأسمائهم لا يجنون من وراء ذلك إلا العجب والغرور"[4].

وإن أعظم ما يمكن للقارئ أن يقدمه لهذا الرجل الفذ والعالم الألمعي الجليل إلا أن يمعن النظر في خطاباته التي بزّ بها أصحاب الكعب العالي برؤية اعتزاز وافتخار وإعجاب بالعالم الخبير، وأن يسجل مزاياه اللغوية والأدبية والثقافية.

وبهذا المنهج الفريد الذي تفرد به الشيخ بلغته وأسلوبه المميز ندخل الموضوع لنعمد إلى السّمات الإبداعية التي تميز بها منهجه الثري التي تجعل من الرجل حديث العصر ومثال يقتدى به.

**أولا: البعد اللغوي:** لقد كان الشيخ الإبراهيمي أديبا متمرنا، ومصقاعا متمكنا في اللغة، عارفا بخبايا العربية وبخصائصها المتميزة وبطبيعتها التي تقوم عليها، خبيرا بأسرارها، ضالعا في أساليبها، فإذا تحدث عنها خلته أبا علي القالي في إطلاعه واستحضاره وفهمه وأمانته[5]، رغم اتساعها وكثرة معانيها ومواضيعها، فإنه بها يبهر العقول وتحار فيه الأذهان بتوظيفه اللغة الراقية المكتوبة أو الارتجالية، وهذا ما أدى به إلى الإدلاء برأبه الصائب عن قدرتها على النماء والتوسع في المعاني، وفي ذلك يقول:"هذا شأن اللغة، كلما عجزت عباراتها الوضعية عن تأدية معنى عظيم وضاقت عن تحديده، أطلقت عليه كلمة تردّدها الألسنة ويتعارفها الناس، وتشير ولا تحدد، وتركت للعقول التوسع في تصور الحقيقة وإبعاد النجعة في طلبها، أما الاسم الذي جعل عنوانا على الحقيقة، فلم يعد أن كان منبهة كما جعلته اللغة، وهذا شأنها في الكلمات ذات المدلول الواسع، مثل:الخير والحق والجمال"[6]. وبهذه الرؤية يمكن لنا أن نسجل أهم مزاياه اللغوية:

**1_الرمز:** معلوم أن اللغة هي نتاج المجتمع، و بها يعبر كل قوم عن أغراضهم، غير أن هناك نوعين من الخطاب لإيصال المعنى: جلي ومشفر، وهذا الأخير لا نجده إلا عند اللغوي المحنك الذي يملك ناصية اللغة القوية، لأن الرمز يقوم على علاقات خاصة ليست حسية مباشرة، فالعلاقة فيه "علاقة ذاتية تتجلى فيها الصلة بين الذات والأشياء، وليست

بين بعض الأشياء وبعضها الآخر"[7]، وبهذا الأسلوب، فإن توظيف الرمز والإيحاء يؤدي بصاحبه _في بعض الأحيـــان_ إلى نتيجة مؤداها عوامل كثيرة، من بينها: ضيق اللغة المتواضع عليها على اســتيعاب مشــاعره المتدفقــة المتشــابكة والمتداخلة واحتواء وإخراج ما سكن في منطقة اللاشعور، وذلك الجانب النفسي العميق الذي تترسب فيه تلكم الادراكات الصغيرة على مرور الزمن والتي تمثل حقيقة شخصية الإنسان[8].

وإن توظيف الإبراهيمي للرمز ولغة القناع في أسلوبه، ما هو "إلاّ وجه مقنّع من وجوه التعبير بالصورة "[9]، لأن ركونه إلى هذا الأسلوب له بعد سياسي وثقافي، مؤداه الهروب من العين التي تتربص به وبشعبه شرا مــن الاحــتلال الفرنسي، لأن هذه اللغة تدون في جرائد الجمعية وتُقدم للمتلقي، والاحتلال يقتفي ويتتبع كل جديد عن جمعيــة العلمــاء، يقول:"ونحن نعلم أن الحكومة تترجم كل ما نكتب، وتقرؤه فتفلي الحروف وتحدد مواقعها من الكلمات، ومواقع الكلمــات من الجمل، ومقام الجمل من المواضيع، وتفسّر وتحلل على قدر ملكتها في العربية وحظها مــن بيانهــا، ونســتعرض الاحتمالات القريبة والبعيدة في المعاني، وتحمل الكلام من المقاصد، وحظها ما يطيق وما لا يطيــق، وتجــاوز أنــواع الدلالات المعروفة، من مطابقة وتضمين والتزام، إلى الإشارة والإيماء والاقتضاء"[10]، ومن ذلك_أيضا_نظمه لأبيات من الشعر في قصيدته البائية، منبها بها أبناء العروبة لاستغاثته في السراء والضراء، وتناديها في الملمــات للوقــوف إلــى جانب شعبه، إذا ذاق الخناق عليهم من الاحتلال، يقول:

**وهم موردي الأصفى المروي لغلّتي إذا كدّرت (أم الخيار) مشاربي**

وهو في هذا البيت يرمز إلى الاحتلال (الفرنسي) الغاشم بـــ:أم الخيار، مستعيرا إيــاه مــن قــول أبــي الــنجم الراجز[11]:

**قد أصبحت أم الخيار تدّعي عليّ ذنبا كلَّه لم أصنع**

ومن النثر، ما نجده في مخاطبته لأهل المشرق العربي في مقاله:(داو الكلوم يا شرق)، وفيه يخاطبهم بلغة الرمز إلى مدّه يد العون لإسعاف أهل شعبه، يقول:"آس جراحنا، وإن كنت مثخنا من ملوكك المغرورين وكبرائــك المفســدين وعلمائك الضالين بألف جرح...، ولا يرعك أن على كل فنن من دوحك ديكا يدل الثعلب بصياحه، وغرابا يجلب الشؤم بنعيه"[12].

بهذه اللغة الإيحائية يرمز بالديك إلى العملاء الذين خانوا أوطانهم وتقلبت بهم الأحوال من عبادة الأصنام إلــى عبادة الأصنام البشرية (الاحتلال)، والثعلب الذي يرمز به إلى المكر والخداع الذي يتربص به العــدو، أمــا الغــراب: فيرمز به إلى كل من ناهضوا العربية بكلامهم الدنيء، وتغرّبوا في فكرهم وأخلاقهم، وتعرّبوا في أجسادهم، فهم دخلاء بالنسبة إليه، أجانب في أعمالهم وتصريحاتهم لا محالة.

**2_السخرية:** هي سمة بارزة في أسلوبه، ونجدها عنده في درجات من القسوة والحدة، يرتفع بعضــها فــوق بعــض، وتنتشر على طريق ممتد من التهكم الساخر، إلى الإقذاع المفحش، وتتنوع بين[13]:

- ✓ التهكم الذي يرسم الابتسامة على الوجوه، مثل حديثه عن الإدارة الجزائرية وعن المطبخة فيها التي تطبخ التقــارير والقرارات[14].
- ✓ التهكم الذي لا يتمالك فيه الإنسان من شدة الضحك والقهقهة، وهذا في مقام حديثه عن تهافت رجال الدين على إدارة الحاكم في تلمسان[15].
- ✓ التهكم المقذع المفحش الذي يكوي الجنوب كيا، ويسم الوجوه والظهور بسفود من النار، وذلك في حديثه عن رجــال صيرتهم قابلية الاستعمال، من مثل: العاصمي[16].

فأسلوب السخرية عند الإبراهيمي يدل على امتلاك صاحبه قاموس لغوي، يتفنن من خلاله على إخراج اللفظ من معناه المعجمي، ويوحي به إلى معان ذات دلالة إيحائية بنبرة مسلّية.

**3_التدقيق اللغوي:** لقد اعتمد في أسلوبه الأدبي على التدقيق في الاستعمال اللغوي، وخاصة في معالجتة للقضايا الشائكة، مثل مفردة: **(الاستعمار)،** التي وقف عندها طويلا، رادا من خلالها على ما تحويه من مفاهيم متداولة عند العامة من: الخراب والدمار والفساد والنهب والسرقة والقسوة والانتهاك والقتل...، في حين أن "مادة هذه الكلمة هي (العمارة)، ومن مشتقاتها التعمير والعمران، وفي القرآن الكريم:﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾[17]، فأصل هذه الكلمة في لغتنا طيب وفروعها طيبة، ومعناها القرآني أطيب وأطيب، ولا ننكر من استعمالاتها في ألسنة خاصتنا وعامتنا إلا العمارة الدرقاوية، ولكن إخراجها من هذا المعنى الطيب إلى المعنى الغربي الخبيث ظلم لها"[18].

**4_الاقتباس من القرآن الكريم:** إن الباب الواسع الذي دخل منه الإبراهيمي على عالم العربية الفسيح هو القرآن الكريم، والذي اقتبس منه بعض المعاني، وكيف لا وهو معينه الأوّل، وصاحبُه الذي شبّ معه منذ عهد التّمائم، فيقول ازدراء وتحقيرا للاستعمار: "الاستعمار كلّه رجسٌ من عمل الشّيطان" [19]. مستنبطا إياها من قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[20].

واقتبس كذلك في حديثة عن تدخل الاحتلال في أمور الشعب الجزائري، وحتى في شريعته الإسلامية التي تعد من الحريات الشخصية، والتي لا يمكن أن يتدخل فيها أي كان، وكأنه يقول:"لا تدخل المسجد إلاّ بإذني ولا تصلّي إلا وراء إمامي، ولا تحجّ إلا برخصتي، ولا تصم إلا على رؤيتي...، ومعنى هذا كلّه نسخ آية من القرآن بآية من وحي الشيطان، ولم يبق إلاّ أن تتلوها كما يريد (قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للاستعمار)، وكذب الشّيطان الرّجيم، وأفك الاستعمار الذّميم"[21]. وفي هذا اقتباس من قوله تعالى:﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[22]. وكذلك في مقام حديثه عن الأحزاب، والتي أنكر دعواها التي تقول فيها أن كثرة الأحزاب في الأمة الواحدة عنوان يقظتها وانتباهها، وضمان وصولها إلى حقها، فقال رادا على ذلك:"ولكننا لم نر من تعدد الأحزاب إلا نقصا في القوة، ونقصا للوحدة، وتنفيسا على الخصم، واشتغالا من بعضهم من بعض، وتعالت كلمة القرآن، فإنه لا يكاد يذكر الأحزاب بلفظ الجمع إلا في مقام الخلافة والهزيمة...ولا يكاد يذكر الحزب المفرد إلا في مقام الخير والفلاح (ألا إلى حزب الله هم المفلحون)، وأن حزب الله في الأمة الجزائرية هو جمعية العلماء، وأنها المفلحة لا محالة"[23]، مقتبسا من قوله عزوجل:﴿**أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[24].

**5_ الاستشهاد بالحديث النبوي:** معلوم أن الشاهد لديه قوة التأثير ومصداقية كبيرة في السلم الحجاجي والخطاب ألإقناعي، وبخاصة إذا كان من الكلام الإلهي أو النبوي الشريف، وقد وظف الإبراهيمي الحديث النبوي في مقام الوعظ والتوجيه حول:(أثر الصوم في النفوس)، فدعم أقواله بالعديد من الأحاديث الشريفة، منها[25]:"الصوم لي وأنا أجزي به"، "للصائم فرحتان"، و"لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"، وهنا يبرر للمتلقي فائدة الصوم بدعوى أنه يروض النفس ويكسبها الصحة والعافية والثبات والنظام.

**6_ توظيف الأمثال العربية:** إن مُكنة الإبراهيمي من اللغة العربية ومحفوظاتها قديما وحديثا جعلته يسترسل في خطاباته بالأمثال العربية الأصيلة دون عناء أو تكلف، فيستخدمها بأسلوب متين يجمع فيه بين معالجة الموضوع وبراعة الصياغة وبهاء التركيب، خدمة لأغراضه الإصلاحية أو الإرشادية، نذكر منها[26]: "اشتدي أزمتي تنفرجي"، "الأمور بخواتمها"، "أوسعتهم سبًّا وراحوا بالإبل"، "بيدي لا بيد عمرو"، "جُحر ضب خرب"، وغيرها كثير.

**ثانيا:البعد البلاغي:** امتلك الإبراهيمي ناصية البلاغة والزاد المعرفي الغزير من العلماء القدامى، حيث نهل من مَعين البلغاء والخطباء والشعراء، فانعكس ذلك إيجابا على أسلوبه في شكل تصنع وتأنق، حتى أنك "لا تكاد تقرأ له مقالة واحدة من مقالاته حتىّ يكون قد فرض عليك شخصيته وجعلك تتمثّل أسلوبه وتستجليه في كلّ جملة يخطّها قلمه أو ينطق بها لسانه، فتُدرك أنّه مدرسة فذّة ثابتة الأركان واضحة المعالم. تنطق بعظمته كاتبا وخطيبا ومفكّرا، وتطبعه من بين قادة الفكر ودعاة الإصلاح الإسلاميّ بطابع خاصّ في مضمار البلاغة والبيان" [27].

وإن منهج أسلوبه البلاغي الإبداعي، يؤكد من تمكنه من أسرار البيان العربي، وفي ذلك يقول عبد الرحمن شيبان:"أما أسلوبه في الكتابة فهو جاحظ عصره، وبديع زمانه، مما جعله بحق معجزة من معجزات الثقافة العربية الإسلامية في القرن العشرين"[28].

وإننا بهذا الأسلوب الراقي نشعر بالروعة الفذة التي تملأ السمع والأبصار، من ملكة البيان الرفيع ولغة البرهان. ويمكن لنا أن نوضح أبرز الصور الفنية التي تبيّن الملكة اللسانية والتي جعلته شاهدا على بقاء العربية:

**1_التورية:** بما أن لغة الإبراهيمي لغة متينة ومحمّلة في طياتها الرمز، فإننا نجده يذكر للفظ المفرد معنيان حقيقيان، أو حقيقة ومجاز، وفيهما يبرز أحدهما: بدلالة اللفظ الظاهر، والآخر: خفي، فيتوهم المتلقي أن المعنى يريد به القريب، وهذا ما يسمى في اصطلاح البلاغيين: بالتورية، ومن ذلك توظيفه لكلمة(الموجة)، والتي يقصد بها (الإذاعة) التي فتحتها فرنسا باللغة الأمازيغية، حتى تفصل بين العرب وإخوانهم البربر، وهذا الأمر ثار حافظة الشيخ بفزعه منها ومن خلفياتها، فيقول:"سيعلم الاستعمار أنّ هذه الموجة ستبتلعها أمواج، وأنّ المذيعين فيها كالمغنيين في المقبرة"[29].

فالموجة هنا بمعنى الإذاعة، وإن جمعهِ لهذه الكلمة (أمواج)، ما هي إلا تورية تحتمل قصدين: أولهما: إذاعات أخرى، والآخر: حركات مناهضة لهذا العمل الشيطاني المفرق بين أبناء الأمة الجزائرية.

**2_السجع:** إن مكنة الإبراهيمي اللغوية وفراهيته الأدبية جعلت الصنعة اللفظية في أسلوبه تطغى في كتاباته على مواقع كثيرة من وقفاته، بخاصة في السجع، الذي يصدر عن مكبوتاته، سواء كان عفو الخاطر _وهذا كثير في مقالاته_، أو كان مقصودا لذاته، والذي يعتمد على عملية التوليد للمعاني، وفي استحضار شوارد الألفاظ والترادف والتطابق، وهو بهذا المنهج يسير على خطى القدامى في الزخرفة اللفظية، لا على نهج أصحاب سجع الكهان[30]، وفي ذلك يعتمد على الإيجاز الفني، والمغزى الثري الذي يحرك ذهن القارئ والمستمع؛ لأنه إذا كان المثل مسجوعا كما قال ابن جني:"لذ لسامعه فحفظه، فإذا هو حفظه كان جديرا باستعماله"، يقول:"اصطنع الكهان السجع ليروقوا السامع ويروعوه، ويسهل على الناس فيحفظوه ويعوه، ولهم في حوك الكلام مقامات حسان، أخذ منها ابن دريد والهمذاني... وما عدا هذه الأسجاع فهي غصص تتبعها أوجاع"[31].

وفي نسجه لأساليب السجع، نجدها كلها ذات طابع سياسي، ومن خلالها ربط بين الماضي البعيد والحاضر المؤلم ذا النكبات الموجعة، ومن ذلك حديثه عن الشعب الليبي وما يُحاك ضده من مؤامرات، يقول:"ويح برقة البوارق من الدخيل الطارق، ومن الأصيل المارق، ومن اللص السارق، عتبات الفتح بنيت على الكسر، وآسرة الصيد منيت بالأسر وصائدة المناسر صادها النسر، وجسر العروبة إلى المغارب عصفت به الأعاصير... فتداعى الجسر وباذلوا الماعون في ساعة العسر، جُزوا في العاقبة بالخسر، ثم كانت خاتمة الكيد إرجاعهم إلى القيد"[32].

وبهذا؛ فإنّ الإبراهيمي له "طابعه الخاص في التعامل مع السجع خاصة والبلاغة عامة، لأن له استعدادا خاصا به للسير بالبلاغة على طريقة ترضي القارئ، وتستميل السامع على نحو من الذكاء، والموهبة في كيفية التنسيق بين الفكرة وبين العبارة سواء أكان عمله هذا في النص النثري أم في المقطع الشعري"[33].

**3_تجاهل العارف:** يوظف الإبراهيمي مفهوم هذا المصطلح بأسلوب ساخر من العملاء الذين يبيعون بلادهم وشرف أهلهم من أجل كسب ودّ المحتل، فيرد عليهم بكلام رجل محنك مدّعما رأيه بالحجة البينة، ومفحما إياهم بالبرهان القاطع، يقول:"ما هي علاقة رجال الدين بإدارة الاستعلامات؟ فإن كان فيها سرّ ديني إلهي فلماذا لا يتردد عليها رجال الدينين المسيحي واليهودي؟"[34]، ويلجأ الشيخ في تبكيته لخصومه والسخرية بهم إلى الاحتكام إلى ذوي العقول الراجحة فيقول:"أنصفونا ولو مرّة واحدة، أيكون شفيعاً للمسلمين عند ربّهم من يصلّي(للبابليك) ويقرأ الحزب(للبابليك)، ويتردّد على أبواب الحكام... لغير حاجة؟[35].

وبعد أن أفحم الإبراهيمي هؤلاء العملاء بالحجّة القاطعة على عمالتهم وجوسستهم، فإنه يصدر حكم التاريخ الذي لا يرحم ولا يجامل في حقهم، فيقول:"إنكم جواسيس...وإن الصلاة خلفكم باطلة"[36].

ومن الصور الفنية التي وظفها الإبراهيمي بلغة رمزية للدلالة على قوة الإيحاء والإثارة، ما نجده في قولـــه:"إن الحكومة استعملت المساجد ورجالها يوم استلمتها من المفتيين الحنفي والمالكي، فمن العدل و**المطابقـــة** ومـــن **مراعـــاة النظير** أن ترجعهما إلى المفتيين، يعني الحاليين، أو يعني مفتيا واحدا من الحاليين"[37].

ويذكر كذلك مصطلح:**براعة الاستهلال** في مقام استهلاله للحديثة عن السياسة المتعجرفة اتجاه التعليم العربـــي، وأنه لم يحقق الغاية المرجوة، يقول:"ثم ماذا؟ ... هذا المشروع الذي لم يرزق براعة الاستهلال"[38]، أي: لم يوفـــق فـــي الانطلاقة الصائبة.

ومصطلح **«الفصل والوصل»**، يذكره في حديثه الرمزي عن السياسة الخسيئة للإدارة الاستعمارية فـــي فصـــل الدين عن طريقها، يقول:"إنها تصدر القوانين بالفصل، ولكنها تقيدها بالتحفظات التي تجعل الفصل تأكيـــدا للوصـــل"[39]، فاللغة الراقية أدت بالإبراهيمي إلى الوصف الدقيق لما تدعيه الحكومة الفرنسية فصل الدين عنها، وهو في الحقيقة تأكيد للوصل.

**ثالثا:البعد النحوي:** إن الإبراهيمي في كتاباته المتنوعة المواضيع والراقية الطرح؛ نجده يوظف أســـاليب متعـــددة فـــي معالجة للقضايا الشاغلة عقله والعالقة بذهنه، ومن ذلك توظيفه المصطلحات النحوية التي اشرأب محتواها مـــن علمـــاء النحو القدامى، حيث رددّ ذلك في العديد من طروحات أفكاره، مخصصا حديثـــه اللغـــوي لـــردع خصـــومه وإبطـــال افتراءاتهم، وأبرز هذه المصطلحات نذكرها فيما يلي:

- **الجملة:** بدأ حديثه عن **«الجملة»** في مقام ردّه على ادعاءات فرنسا، بقولها: أن الجزائر فرنسية، يقول:"وتصور أنت أن لشخص دارا تعالم الناس أنها مملوكة له بوجه من وجوه الملك، ورأوه يتصرف فيها وينتفع بمرافقها من غير شـــك ولا نزاع، فهل يحسن منه في غير المعارض المخصوصة أن يعلن للملا في غير مناسبة أن الـــدار داره؟ وهـــل يفيـــد سامعيه شيئا جديدا يحسن السكوت عليه؟ وهل يحمل السامعون هذا التكرار منه محمل التوكيد اللفظي؟ وهم يعرفون أن التوكيد اللفظي يصح في كلام واحد متصل الجمل، أم هذه الجملة فهي تقع في كلام متعدد وفي أمكنـــة مختلفـــة، وفـــي أزمنة متباعدة"[40].

ففي هذا النص الحجاجي، يتضح لنا أن الإبراهيمي أعطى مصطلح **«الجملة»** تعريفا دقيقا يوافـــق فيـــه النحـــاة القدامى، حيث الجملة عندهم: ما أفاد معنى يمكن السكوت عنده، ومن ثمّ ما لا يمكن السكوت عنده لا يعتبر جملة[41].

ومن القضايا النحوية التي تناثرت في صفحات مدوناته، وتنوعت في مؤلفاته، يمكن لنا أن نشير إلى بعض منها فيما يلي:

- **اسم الجنس واسم الفعل:** وحديثه عن ذلك كان يستعملهما بشكل رمزي، من قوله:"رفعنا منارها في وطـــن لـــم يبـــق الاستعمار من عروبته إلا (اسم الجنس) يضربه مثلا للدناءة والخسة والجهل والانحطاط، ولم يبق من عربيته إلا (اســـم الفعل) يجعله رمزا للبذاءة والسباب والشتم"[42].

ففي هذا النص نجد الإبراهيمي معبرا عن اشتراك معنَيهما في دلالة لفظة (عرب)، والتي يقصد بها فـــي الأول **اسم الجنس**، وكأن كلمة (عروبة) لم تقتصر على كل جنس عربي أو ما له أصول عربية، بل أصـــبحت هـــذه الكلمـــة جنسا: للدناءة والخسة والجهل والانحطاط، أما **اسم الفعل**، فيتوخى منه: الضجر والممل والسأم، وكأنه قال: أف أو قـــام بسب أو شتم حين يسمع كلمة (عرب).

- **معمولان لعامل واحد:** ذكر العامل والمعمول في مقام حديثه عن ربط مشرفي الزوايـــا وأئمـــة المســـاجد بالســـلطات الاستعمارية، وهي دلالة رمزية توحي بمعناها إلى استعباد هؤلاء لخدمة أغراض إدارتهم الاستعمارية، يقول:"وممـــا دل

الناس على أن هذا من ذاك، وأنهما معمولان لعامل واحد كما يقول النحاة، وقوعهما في ظرف واحد، وخلوهما من الظرف والكياسة وحسن الذوق واحترام شعور الأمة"[43]. فهو بهذا المعنى الرمزي أقوي في الدلالة من النحوي الذي يفضي أثرا اعرابيا في الكلم، والمعمول ما أخذ حكمه الإعرابي بعدما وقع عليه أثر العامل.

▪ **النكرة والمعرفة:** أشار الإبراهيمي إلى الدور الذي أدته جريدة البصائر في تبيين وإيضاح القضية الجزائرية بعدما كانت مطموسة في غياهب الرأي العام، ولذلك وظف مصطلحي من **النكرة إلى المعرفة**، من قوله:إن"المدى البعيد الذي بلغته البصائر في ربط القلوب وتوحيد الاتجاه، وتضييق دائرة الخلف في الدين والدنيا وتوسيع ميدان التعارف، ثمّ نقل الجزائر من باب النكرة إلى باب المعرفة"[44].

▪ **التصريف:** معلوم أن التصريف علم قائم بذاته، وهو خاص بالأفعال والأسماء[45]، وقد وظفه بقوله:"التصريف للألفاظ كالتصريف في الأموال فيه القصد وفيه السرف"[46].

فالإبراهيمي يوظف التصريف هنا بمعنى: أن فرنسا تصرفت فينا وفي أرضنا وأملاكنا مثل تصرف المرء في أمواله إلى درجة الإسراف والتبذير، وعليه فقد شبه تصريف الألفاظ بتصريف الأموال.

▪ **النصب والخفض:** وفيهما يتكلم عن شخصية المفتي الحنفي محمد العاصمي الذي صار بأقواله يشرع ويحلل ويحرم تماما ما يقع في النحو من نصب وخفض، من قوله:"وما زلنا نتبع أعمال هذا الرجل منذ سنتين ونتوسم من حركاته أنه عامل نصب وخفض معا"[47].

▪ **الإضافة:** ذكرها في حديثه عن العاصمي، يقول:"لو كان من أقسام الإضافة في النحو ما هو بمعنى (على)[48] لخلعنا على العاصمي لقب حجة الإسلام"[49]، فالإبراهيمي في هذا المصطلح يقصد أن العاصمي شُرف بالاسلام حجةً ولم يعلُ على الإسلام، لهذا فكلمة حجة أضيفت إلى كلمة الإسلام.

**رابعا:البعد النقدي:** يعدّ الإبراهيمي من النقاد المتذوقين للأدب العربي بأسلوبه المتميز وبتعبيره وأفكاره الحادة، فهو من العارفين بخصائصه وميزاته، وإن معظم أفكاره النقدية تدور عنده على شقين، من جهة: الانطباعي والمعتمد على الذوق الأدبي، ومن جهة أخرى الموضوعي، وكلها مقاييس تسير على مناهج علماء العرب، وهذه دلالة على تمكنه من الأسلوب وتعمقه بالفكرة، وهو ما نلمحه في مقالاته النقدية، منها: «سؤال وجوابه» الذي تناول فيه بالرد على انتقاد حول شخصية الشاعر الجزائري (محمد العيد آل خليفة)، الذي جُرد من لقب "شاعر الشباب وشاعر الجزائر الفتاة"، يقول عنه:"انتقد بعض الأدباء تجريدنا للشاعر محمد العيد من الألقاب التي أحق بها وأهلها، واقتصارنا في وصفه على لقب:(شاعر الحكم والمثل) ... ونحن نقول لهذا المنتقد المخلص، إننا جردنا شاعرنا من تلك الألقاب مخلصين عن عمد لأمرين: أما الأول: فهو أن هذه الألقاب الأدبية أصبحت كالألقاب الحكومية، يتمجد بها من لا يستحق التمجيد، ليكمل بها نقصه ويوازن بإيقاعها رقصه، حتى أصبح الناس مترددين في وجه الاستحقاق وعلته، أهو كماله لينقص بها ؟ أم نقصه ليكمل بها؟"[50].

والدارس المتأمل في هذا الكلام يخول له أن الإبراهيمي قد استنتج "أن محمد العيد وأمثاله من المحسنين لفنونهم، قد شبوا عن طوق هذه الألقاب الجوفاء، فزهد فيها زهدا كأنه طبيعي فيه، شان المتشبع بفنه، المتقن لصنعته، حسبه من الشهود والإتقان والإحسان، إما هذه الألقاب، فإنهم لا يرونها بالعين التي يراها بها الناقصون. لا يرونها مكملة لهم ولا زائدة فيهم ...إن الألقاب لا تزيد في قيمة محمد العيد إلا بمقدار ما زادت (الباشاوية) في قيمة طه حسين"[51].

وإن الممحص النظر في كتاباته النقدية _على سبيل الذكر لا الحصر_ يسجل النقاط التالية:

**1_نقد الشخصيات بأسلوب التهكم والسخرية:** واجه الإبراهيمي بنقده اللاذع لشخصيات ناصبَتْه العداء، وناصرت الطرقيين في حربهم على رجال الإصلاح والحركة الإصلاحية، وكان من هؤلاء (عبد الحي الكتاني) الطرقي، الذي شنّ حرب معلنة على رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر، وكان الشيخ مهيئا لذلك، فسّخر قلمه وأرسى سدوله على هذه

الشخصية الماكرة، وألبسه لباس التهكم والسخرية، وتتجلّى هذه السّخرية المريرة في مقاله بعنوان:«عبد الحي الكتاني: ما هو؟ وما شأنه؟»، يقول:"في لغة العرب لطائف عميقة الأثر، وإن كانت قريبة في النظر، منها التسمية بالمصدر والوصف به، يذهبون بذلك إلى فجٍّ من المبالغة سحيق، تقف فيه الأذهان حسرى، ويغالط به الحس، فيخيّل ذوبان الموصوف وبقاء الصفة قائمة بذاتها، كأنّ الموصوف لكثرة ما ألحّت عليه الصفة وغلبت أصبح هو هي، أو هو إيّاها، وعند الخنساء الخبر اليقين حين تقول: فإنما هي إقبال وإدبار. وعلى هذا يقال في جواب ما هو عبد الحي ؟ هو مكيدة مدبَّرة، وفتنة محضرة، ولو قال قائل في وصفه:

**شعوذة تَخطِر في حجلين وفتنةٌ تمشِي على رِجلين .**

لأراح البيان والتحليل كما يقول شوقي، ولعفَّى على أصحاب التراجم من أعاريب وأعاجم، ولأتى بالإعجاز في باب الإيجاز، إذ أتى ببرقيّة، إلى الأقطار الغربية والشرقية"[52].

ويقدّمه مرة أخرى بسخرية، فيقول:"وإذا أنصفنا الرجل قلنا: إنّه مجموعة من العناصر، منها العلم ومنها الظلم، ومنها الحقّ ومنها الباطل، وأكثرها الشرّ والفساد في الأرض، _أُطلِق عليها لكثرتها واجتماعها في ظرف_ هذا الاسم المركّب الذي لا يلتقي مع الكثير منها في اشتقاق ولا دلالة وضعية، كما تطلق أسماء الأجناس المرتجلة. وكما يطلق علماء الكيمياء على مركّباتهم أسماء لا يلمحون فيها أصلا من أصولها، ومن الأسماء ما يوضع على الفأل والتخيُّل، فيطيش الفال وتكذب المخيّلة. ومنها ما يوضع على التوسع والتحيُّل، فيضيق المجال وتضيع الحيلة، وإنّ اسم صاحبنا لم يصدق فيه إلاّ جزؤه الأول. فهو عبد لعدّة أشياء جاءت بها الآثار، وجرت على ألسنة الناس، ولكن أملكها به الاستعمار ! أمّا جزؤه الثاني فليس من أسماء الله الحسنى، ولا يخطر هذا ببال مؤمن يعرف الرجل، ويعرف صفات عباد الرحمن، المذكورة في خواتيم سورة الفرقان، وإنما هو بمعنى القبيلة، كما يقال كاهن الحي وعرّاف الحي، وعير الحي"[53].

قد فضح الشيخ الإبراهيمي كذلك محمد العاصمي مفتي الحنفية باعتباره من عمالة الأئمّة الرسميين للاستعمار، حين هدّ أركان الطرقية الضّالة، ولذلك أنشأ العاصمي منظّمة الأئمّة الرسميين وجعل لها مجلّة تنطق بلسانها، أطلق عليها «صوت المسجد»، فأرخى له الشيخ زمنا وتغافل عنه حينا حتى ظنّ أنّه نسيه، ولكنّ الإبراهيمي تفرّغ له مرّة وكتب فيه مقالا لاذعا، ألفاظه كأنّها شهب مُحرِقة، يفتتح بقوله:"واعجبا لما تصنع هذه الحكومة ببعض الرجال منّا، تعمد إلى الواحد منهم فتبقيه على سحنته، ولكنها تفرغه شُحنته"[54]. ثمّ يتكلم عن العاصمي فيكتب عنه قائلا:"ما أشأم العاصمي" على نفسه! فقد سكتنا عنه فأبى، بعد أن جارانا فكبا، وما تحدّثنا عنه في الماضي إلاّ باعتباره أداة لا شخصا، وما سكتنا عنه بعد ذلك إلاّ لأننا أوسعنا تلك الأدوات تحطيما وتهشيما... ولكنّ هذا الرجل المصنوع يأبى علينا إلاّ أن نعتبره شيئا قائما بذاته "[55].

وبعد أن يسكت عنه الإبراهيمي لفترة من الزمن، وبزيادة طغيانه في الأقاويل، فإننا نجده يرسل عليه شوَاظ من نقد من نَّار وَنُحَاس، فيقول:"وها نحن أولاء نعود للحديث عنه مكرهين، ولا نخوض من جديد في شبهاته التي يظنّها حججا، وضحضاحه الذي يراه لجا، إذ بعض المحظور في ذلك أننا نحقق له بعض مناه ...وإنّنا لا نعني بما نقول ذلك الرجل المدعوّ محمد العاصمي، الذي شبّ في (قُصَيْرِ الحيران) واكتهل معلّما للصبيان، وشاب خادما لقاض في ديوان...وإنما يعنينا هذا الشيء المسمّى محمد العاصمي المفتي الحنفي، الذي وسَّع الشقّ، بتنكّره للحق، والذي نصَّب نفسه عونا للمعتدين على الدين، والذي استطال بقوّة الأجانب، على ضعف الأقارب، والذي سوَّد وجه الإسلام بمؤازرة الظلام، والذي جعل الإفتاء ذريعة للإفتيات، وإساءة الأحياء حجّة على إحسان الأموات"[56] .

وبهذا النقد اللاذع الموجه للعاصمي، فإن الشيخ ينوه ويحذر من هذا النوع الذي يدعى الإسلام ويخدم المستعمر على حساب أبناء وطنه، وما هذا النقد الجارح إلا درس لمثل هؤلاء الذين اشتروا الظلالة بالهدى لتحقيق مآربهم في اتخاذ الإفتاء ملاذا لهم، وهدف كل هذا هو بثّ التفرقة الدّينية والطائفية في الجزائر بغية زعزعة وحدة الأمّة الجزائرية.

ولم يتوقف النقد عند هذين الشخصيتين، بل امتد إلى شخصيات أخرى من أمثال: محمد السّعيد الزّاهري، بعدما كان مناوئا لرجال الجمعية والحركة الإصلاحية، فاشتدّت العداوة بينه وبين الشيخ[57]. ومحمّد الطّاهر بن عاشور الذي مسه النقد بمناسبة إفتاءه بجواز قراءة القرآن على الأموات[58]، والتّهامي المغربي، الذي كان من أخلص عملاء الاستعمار في المغرب الشقيق[59]، والمستشرق الفرنسي لويس ماسنيون، الذي يعد من جواسيس الاستعمار[60].

**2_الشعر الملحون في ميزان النقد:** بالرغم مما عرف عن الشيخ من تشبعه بالثقافة السلفية وانتمائه إلى المدرسة التقليدية التي تهتم بالعربية الفصحى، إلا أن هذا لم يمنعه من الاهتمام بالعامية ولم نجد له تعصبا رافضا لها، وبخاصة الشعر الملحون الذي أعجب به كثيرا، وعرف معظم أعلامه فكتب حوله كتاب عنونه بـ(التراث الشعبي والشعر الملحون في الجزائر)، وعدّ شعرية لغة هذا الشعر لها ميزة فريدة؛ لأن"الشاعر الموهوب _عنده_ شاعر، وإنما اللغة قواعد، فإذا لم يستطع سبك المعاني في القوالب الفصيحة والألفاظ الصحيحة صبها في القوالب التي يفهمها الناس"[61]، ويعدّ هذا النوع من الشعر له وشائج وطيدة مع الشعر الفصيح، مستشهدا من أنه "قد نقل ابن خلدون في مقدمة تاريخه كثيرا من تلك الأشعار بغرض الاستدلال على ما وجد في تلك الأشعار من خصائص من الشعر العربي مثل المدح والحب والحماسة والفخر وغير ذلك من المعاني التي يشتمل عليها الشعر الفصيح، وقد قرأنا ذلك النموذج من الشعر فما غم علينا معنى فيه"[62]؛ لأن" الشعر العامي عندنا في الجزائر يشتمل على كثير من أغراض الشعر الفصيح وفي المواضيع التي يتناولها كالمدح والهجاء والفخر والخلاف إنما في العمق وقوة التأثير"[63].

ولذا فإن الشيخ الإبراهيمي يعتز بالشعر العامي ويهتم به، لأنه يخرج عن وعي عميق وقلب رقيق لما فيه من بلاغة في التصوير الفني وحكم مأثورة، واعتبره ثمرة من ثمرات التراث العربي الأصيل، وأوصى به خيرا، بقوله:"وإن فيه لبدائع لا يليق بها الإهمال، وقد ضاع بعضها ولم يبق إلا القليل مما يحفظه الحفاظ ويروونه، وهذا أيضا معرض للزوال لعدم العناية به"[64]، وكان يهدف من وراء المفردات العامية لا إمتاع المتلقي فقط ، بل الإبلاغ والإصلاح والنصح والإرشاد.

**خامسا:البعد السياسي:**

**1_دفاعه عن الدين:** يطالب الإبراهيمي في العديد من المواقف عن فصل الدين عن الدولة التي تعدّ نفسها منارة الحرية الدّينية والسّياسية، وتعمل نقيض ذلك في الجزائر، فيقول:"قرأنا سير الإنكليز في الهند فوجدناهم بالغوا في إعطاء الحرية بين (قُرَّاء البقرة) بالحقّ وبين (عُبَّاد البقرة) بالباطل، ويسّروا سبيل الحجّ حتى اتّسع معنى الاستطاعة"[65].

فالإبراهيمي يجنح إلى الرمز، فيوحي إلى الهندوس بِعُبّاد البقرة، ذلك أنّهم يقدّسون هذا المخلوق ويحرّمون ذبحه ويعبدونه، وبين قُرَّاء (سورة) البقرة وهم المسلمون، فيعملون بالباطل.

وكذلك حديثه عن موضوع:" أعراس الشيطان"، والمتمثلة في البدع الدينية التي كثرت آن ذاك في الثقافة الشعبية، من إقامة ولائم وذبائح لغير الله، والتي تسمّى (الزردّة) وفي ذلك يقول:"وقد يحض (المعمر) معهم الزردة يشاركهم في ذبح القرابين، ليقولوا عنه أنه محب في الأولياء خادم لهم، حتى إذا تمكن من غرس هذه العقيدة في نفوسهم راع عليهم نزعا من أيديهم، وأجلاء لهم عنها، وبهذه الوسيلة الشيطانية استولى (المعمرون) على تلك الأراضي الخصبة التي أحالوها إلى جنات"[66].

وإن أحداث مجازر 08 ماي 1945 قد تركت جرحا عميقا في نفس الشّيخ، دفعته لإيقاظ من لا يزال يؤمن بعدالة فرنسا، وبمدنيتها فيقول:"يا ممسكي الأعنّة، إنّ ركوبة الباطل صعبة فلا تَتَقَحّمُوا، ويا مشرعي الأسنّة، إنّه لا سهم في

الجعبة فلا تتوهّموا، ويا منتهكي الحرُمات ما ماتت الحرية بينكم ولكنّ الحُرَّ مات، ويــا ناشــدي الحــق فــي مجــامع المبطلين....لا ردّ الله ضالّتكم، أتطلبون الفصّ من اللّص، وتقيسون في مورد النّص، إنّ الحق ينشدكم فلا يجدكم، فــلا ترجون وجدانه حيث تبطلون نُشدانه؟ التمسوه في صفوفكم المتفرّقة، وآرائكم المغرِّبة المشرِّقة، فإذا لم تجدوه فلا تلوموا الذّئب على الافتراس، الأماني كواذب، وأكذب منها رجاء العدل من مستعمر"[67].

وفي مسألة تدخّل فرنسا في كلّ شؤون الجزائريين حتى في دينهم الذي هو من الحريّات الشخصــية للمــواطن، يحدّثنا الإبراهيمي عن ذلك مرسلا حسراته وزفراته ممزوجة بسخرية وتعريض بهــذا التّــدخل السّــافر فــي شــؤون الجزائريين يقول:"هلمّ إلى الدّين تجد الاستعمار الذي كفر بالأديان يقول لك بصريح القــول والعمــل:أنــا أحــقّ منــك بالتصرّف في دينك، فلا تدخل المسجد إلاّ بإذني ولا تصلّي إلا وراء إمامي، ولا تحجّ إلا برخصتي، ولا تصم إلا علــى رؤيتي، ولا تُزكِّ إلا بعد استشارتي، ولا تضع زكاتك إلاّ حيث أريد لا حيث تريد، ومعنى هذا كلّه نسخ آية من القــرآن بآية من وحي الشيطان، ولم يبق إلاّ أن تتلوها كما يريد (قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للاستعمار)[68] وكــذب الشّيطان الرّجيم، وأفك الاستعمار الذّميم" [69].

ويواصل الشيخ بمنهجه المبدع في دفاعه عن الدين الإسلامي، وما يتعرض له من مضايقات الاحتلال، فيستعمل لفظة الوحي للتعبير عن مراده، فيقول "يوحي شيطان الاستعمار إلى الحكومة وحيا متتابعا، لا فترة فيه فإذا تلقّت الوحي ونزل به الرّوح الخبيث على قلبها، نجّمته على فترات، وأوحت في كلّ فترة إلى أوليائها ما يثير شرّا، أو يــوقظ فتنــة، وقد أصبح المجلس الجزائري اليوم متنزّل وحيها، فلا تمضي فترة إلاّ وأوحت إليه شيئا من ذلك النّــوع، الــذي يثيــر الشّرور أو يوقظ الفتن[70].

ففي هذا النص كرّر الكاتب لفظة «الوحي» ستّ مرات، ليعبّر بها عن رفضه لسياسة وحي الاحتلال في تعاملــه مع الدّين الإسلامي، ولرفع يده عن أوقاف الجزائريين التي يتصرّف فيها بغير وجه حقّ، وفي هذا يسخر من الاحــتلال الذي يتلقى هذا الوحي من الشيطان الرجيم.

**2_دفاعه عن اللغة العربيــة:** إن اللغة العربية عند الإبراهيمي تتلاحم مع الدين الإسلامي والعروبة في آن واحد، بحيث لا يمكن الفصل بينهما، وفي دفاعه عن هذه اللغة الخالدة نلتمس في منهجه العلمي رسوخه العقلي بهذه اللغة، حيث نجده تأثر بها تأثرا بينا صريحا، ولذلك أضحت العربية شغله الشاغل، وسلاحه في الدفاع عن الشعب الجزائري، والمــتمعن في كتاباته يلحظ دفاعه عن اللغة العربية، ومن قوله:"اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حماتها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشيدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنــان فــي المســتقبل، ممتدة مع الماضي؛ لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحتين، ترحل برحيلهم وتقيم بإقامتهم، فلمــا أقــام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد وضرب بجرانه فيه، أقامت معه العربية لا تريم ولا تبرح، مادام الإسلام مقيما لا يتزحزح، ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس، وتصاغ في الألسنة واللهوات، وتنساب بين الشفاه والأفواه"[71].

وكذلك ندّد على السياسة الخبيثة للمحتل الغاشم في منع تدريس هذه اللغة وتعليمها لأبناء أمتــه فــي الجزائــر، ومطاردته المعلمين الأحرار الذين لا يملكون وثيقة إدارية من السلطات الفرنسية، وهذه الأخيرة لا يملكها إلا من كان له حظ عظيم، بل على العكس من ذلك تسهل على منح رخصة فتح مقهى أو حانة خمر بدلا مــن مــنح رخصــة تعلــيم العربية، وهدفها الوحيد هو تشغيل الجزائريين عن تعاطي السّياسة، ووضع على ظهورهم أحلاس الجهل بانغماسهم فــي المقاهي، وروّاد حانات الخمر متسكّعي الشوارع، لا طلاّب علم مستنيرين؛ لأنّ هذا يعني نهاية الاســتعمار مــن هــذه الدّيار. فحقّ التّعليم فرض واجب في فرنسا، ومحرّم في الجزائر، يقول:" يحرّم الاستعمار الفرنسي التّعليم على مســلمي الجزائر، ويفرضه على أبنائه في وطنه، فأعجب لشيء واحد يحرم في وطن، ويفرض في وطن، ومن عرف الاستعمار معرفتنا به لم يعجب ولم يندهش، خصوصا في وطن كالجزائر لغته العربية ودينه الإسلام"[72].

فالإبراهيمي ربط حق تعليم اللّغة العربية في الجزائر بالإسلام، الذي جاء إلى هذه الربوع فاتحا للعقول والقلوب، فأقام ومعه العربية إقامة الأبد [73]، وبذلك فهو يرد بأقواله اللاذعة على ادعاء فرنسا من أنّها نشرت الحريّة والمدنية في الجزائر، وحضّرت شعبها من بدائيته، وعلمت أبناءه بقوله:" بعد هذا كلّه _وأمثاله معه_ تمنّ فرنسا على مسلمي الجزائر، وتقول:إنها علّمت، وما علّمت، ولكنها قلّمت.... وما أغرب شأن الجزائريين مع الاستعمار الإفرنسي:فئة تدرس في جامعة، وملايين ترسف في جامعة[74] ويا بعد ما بين الطّرفين"[75].

فالذين لهم حق التعليم في ظن الشيخ هي تلك الفئة القليلة من أبناء القيّاد والباشاوات والعملاء وأذناب فرنسا، في حين أن معظم الجزائريين يتخبطون في الأمية والبؤس والشقاء.

ونجده كذلك يحذر النخبة الواعية إلى التنبه إلى دعوة الحكومة لتعليم اللغة العربية بالمكاتب الفرنسية، فهي دعوة مشبوهة في نظره، تحمل في طياتها مكائد، والتي يسميها:«المطبخة الفرنسية»، بقوله:"فما معنى هذا؟ ومتى كانت المكاتب الحكومية الابتدائية تعلّم العربية؟ لا معنى لذلك إلاّ أنّ المطبخة دائبة على المطبخ"[76].

فالإبراهيمي دافع ونافح عن اللغة العربية بكل ما يملكه من قوة الكلمة ونضالها، لما لها من عظمة وخلود فيالدنيا والدين، فجاءت معظم طروحاته وليدة أفكاره.

**خاتمة:**

إن السمّات الإبداعية في الأسلوب الأدبي عند الإبراهيمي بعامة، تتميز برصانة التركيب وإحكام البناء، بدءا من اختيار اللفظة المناسبة ووضعها المكان اللائق بها، إلى النسج المزركش بالصور الفنية، وهو بهذا المنهج ما هو إلا "استمرار للأساليب الفحلة القديمة وتطور لتعابيرها وطرائقها في تدبيج القول وزخرفة الكلام، لذلك يجد فيه الباحث كثيرا مما يجد في الأساليب الفحلة القديمة من جزالة الألفاظ ووضوح في المعاني وحرص على التأنق في الأسلوب ورغبة في رشه بالمحسنات اللفظية والمعنوية على اختلافها"[77].

ويمكن لنا أن نختم بأهم المزايا التي يتميز بها أسلوبه في معالجة القضايا الأدبية واللغوية وحتى السياسية والاجتماعية فيما يلي:

- إن الأسلوب عنده لا يخلو من الزخرفة اللفظية بالألوان البديعية، والتأنق في اختيارها مع زنة تراكيبها.
- امتلاكه أسلوب الحجاج في دفاعه عن هوية الأمة وكيانها ورده عن خصومه بالأدلة القاطعة، ومصدر ذلك: نهله من معين علماء التراث من: نحو وبلاغة وفقه وعلم الكلام والمنطق.
- امتلاكه ثروة لغوية هائلة ما جعله يميز بين دلالة المفردة والواحدة وأخرى، وهذا ما مكّنه من إصابة المعنى واختصار الكلام.
- تركيزه على سلامة اللغة، ودقة الوصف في التعبير، لأن في لغتنا إذا فسد الذوق فسد التركيب والمعنى، ومثل ذلك، إذا "أطلقنا الأسماء الخاصة على الجنس العام، وقلنا في الأمة الوكعاء إنها عقيلة نساء، وفي العنز الجرباء إنها كريمة مال، ثم أوغلنا في التشبيه على هذه الطريقة، فقلنا في شموع المولد:إنها كواكب درية، وفي صواريخ الصبيان: إنها قنابل ذرية، إذا فعلنا ذلك أفسدنا اللغة أولا، ثم أفسدنا الأخلاق ثانيا، وملأنا العالم بالزور والغرور"[78].
- استعماله الشارد والغريب في اللغة، يقول: إن"في هذه الفصول من لبوس الألفاظ ما يراه المتخلفون من كتابنا غريبا، وما غرابته في أذواقهم إلا كغربة الأعلاق النفيسة في أسواقهم، ولو حفظوه ووعوا معانيه وأجروه في مواضعه من كلامهم، وأحسنوا إجراءه في ألسنتهم وأقلامهم لأحيوه فحيوا به، ولأصبح مأنوسا لا غريبا، وأصبحوا من لغتهم قريبا، لكن أعياهم الإحسان فعفّروا في وجوه الحسان"[79].
- استعماله الألفاظ الأجنبية: فالإبراهيمي لم يكن يجهل اللغة الفرنسية، بل كان على قدر واسع بالعلم بها، وهذا ما نجده في كتاباته المتنوعة، مثل لفظة:(الكوميسير)، والتي تعني محافظ الشرطة، و(الديكري)، والتي تعني: رجال الدرك[80].

▪توظيفه الألفاظ العامية ودفاعه عن الشعر الملحون لغاية إصابة المعنى، من ذلك استعماله كلمة **(طكوك)** الشعبية[81]، في مقام ذكره للأسابيع، للدلالة على ما سنه الاحتلال من أسابيع ليحتفل بهـا، مـن قولـه:"أسـبوع العـرس، وأسـبوع المأتم...وأسبوع طكوك، وغير ذلك من الأساليب المختلفة"[82]، وكذلك كلمة:**(اختش)** المصرية[83]، والتـي تعنـي: إلـزم حياءك.

---

**هوامش الدراسة:**

1 أحمد توفيق المدني، الإبراهيمي كان أمة، كان جيلا، كان عصرا، مجلة الثقافة، ع 87 مايو 1985 ، ص 39 .

2 أبو نواس: ديوانه، شرح محمود أفندي واصف، المطبعة العمومية بمصر، ط1، ص87.

3 آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 04، ص05

4 أحمد توفيق المدني، الإبراهيمي كان أمة، كان جيلا، كان عصرا، ص57.

5 محمد إبراهيم الكتاني:الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، العدد2، 2010، ص08

6 عيون البصائر، ص534.

7 أحمد فتوح أحمد:الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة مصر، دط، 1984، ص203.

8 ينظر:محمد ناصر بوحجام:أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث، ج2، ص269.

9-عز الدّين إسماعيل:الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، ص 195.

10 عيون البصائر، ص144.

11 ينظر:عيون البصائر، ص476.

12 عيون البصائر، ص553.

13 ينظر:شكري فيصل: قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي، ص208،209.

14 ينظر:عيون البصائر، ص64،65.

15 ينظر:عيون البصائر، ص153.

16 ينظر:عيون البصائر، ص68..

17 سورة هود، الآية 61.

18 عيون البصائر، ص582.

19- جريدة البصائر، السلسلة 02، السنة 02 ، عدد 83 ، 16شعبان 1368هـ/13 جوان 1949.

20 سورة المائدة، الآية 190.

21- عيون البصائر، ص403.

22 سورة الأنعام، الآية 162.

23 عيون البصائر، ص39.

24 سورة المجادلة، الآية 22

25 آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص478.

26 ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص368، ج2، ص358، ج1ص241،ج2ص317، ج3ص43

27 باعزيز بن عمر: من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي،ص106/ 107

28 عبد الرحمن شيبان: الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية، ضمن كتاب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، دار الأمة، الجزائر، ط2، 2007، ص73.

29- جريدة البصائر، السلسلة 02، السنة 02 عدد 42 ،27، شعبان 1367هـ/05 جويلية 1948م.

30 وهذا منهي عنه شرعا، لأن "الرسول العظيم لم يذم السجع كله، وإنَّمَا ذَمَّ ما كان مثل سجع الكهان لا غير، وقد ورد في القرآن"،ينظر: أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط2 ، 1996، ص 312. بدليل الحديث الشريف:« أَسَجَعاً كَسَجَعِ الكُهَّان »، ينظر الحديث:ابن قتيبة: غريب الحديث، ص 317.

31 عيون البصائر، ص596.

32 عيون البصائر، ص612.

33 محمد عباس: البشير الابراهيمي أديبا، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران الجزائر، دط، دت، ص312.

34 آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 03، ص 161.
35- نفسه، ص 205.
36- نفسه، ص 205.
37 عيون البصائر، ص89.
38 عيون البصائر، ص266.
39 عيون البصائر، ص172.
40 عيون البصائر، ص387.
41 ينظر:ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت لبنان، ج1، ص14.
42 عيون البصائر، ص37.
43 عيون البصائر، ص438.
44 عيون البصائر، ص554.
45 يقتصر التصريف على نوعين من الكلام: الافعال المتصرفة والأسماء المتمكنة
46 عيون البصائر، ص603.
47 عيون البصائر، ص77.
48 ينظر ابن جني: الخصائص، دار الفكر، بيروت لبنان،ط2، دت، ج3، ص56.
49 عيون البصائر، ص158.
50 جريدة البصائر ، السلسلة 2، ع 143، 1370ه -1951 م .
51 جريدة البصائر ،السلسلة 2 ،ع 143 .
52- عيون البصائر، ص 615.
53- المصدر نفسه، ص 607- 608 .
54- عيون البصائر، ص 151.
55- المصدر نفسه، ص 152.
56- المصدر السابق، ص 153.
57- ينظر:عيون البصائر، ص 639 .
58-ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج1 ، ص 223/222.
59- عيون البصائر، ص 464.
60- عيون البصائر، ص 395/394.
61- محمد البشير الإبراهيمي، التراث الشعبي والشعر الملحون في الجزائر، ص22.
62- المرجع نفسه.
63- نفسه، ص24.
64-نفسه، ص25.
65-عيون البصائر، ص 93.
66 عيون البصائر ، مصدر سابق، ص 457 .
67- عيون البصائر، ص398.
68- يقول عز وجل:﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنعام، الآية 162.
69- عيون البصائر، ص403.
70- عيون البصائر، ص 125.
71 جريدة البصائر، سلسلة2،العدد 41، السنة2، 1367 ه 1948. وينظر : عيون البصائر ، ص 221 .
72- عيون البصائر: ص 237.
73- عبد الرزاق قسوم: اللغة العربية في العهد الاستعماري، مواقف الإمام الإبراهيمي، عالم الأفكار للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، 2007 ، ج04، ص 07 .
74- جريدة البصائر، السلسلة 02، السنة 02، عدد 68 ، 23 ربيع الثاني 1368هـ/21 فيفري 1949م.

75- الجامعة: هي القيد الذي يجمع اليدين والرجلين. ينظر: المصدر نفسه.

76- جريدة البصائر، السلسلة 02، السنة 02 ، عدد 68 ، 23 ربيع الثاني 1368هـ/21 فيفري 1949م.

77 عبد الملك مرتاض:فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1983، ص336.

78 عيون البصائر، ص675.

79 عيون البصائر، ص595.

80 عيون البصائر، ص251،254.

81 ترتبط بفصل الربيع والتي تعني في الثقافة الشعبية: فترة هيجان الحيوان.

82 عيون البصائر، ص373.

83 عيون البصائر، ص466.

**قائمة المصادر والمراجع:**


_ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

_ صحيح البخاري.

**أولا: المصادر:**

محمد البشير الإبراهيمي(ت1965م):

1. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي،دار الغرب الإسلامي،بيروت لبنان، ط1، 1997
2. جريدة البصائر: سلسلة2، السنة2، العدد 41، 1367هـ/1948م.
3. جريدة البصائر: السلسلة 02، السنة 02 عدد 42 ،27، شعبان 1367هـ/05 جويلية 1948م.
4. جريدة البصائر: السلسلة 02، السنة 02، عدد 68 – 23، ربيع الثاني 1368هـ/21 فيفري 1949م.
5. جريدة البصائر: السلسلة 02، السنة02 ، عدد 83، 16شعبان 1368هـ/13 جوان 1949.
6. عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت.
7. محمد البشير الإبراهيمي، التراث الشعبي والشعر الملحون في الجزائر، تح. عثمان سعدي، دار الأمة، الجزائر 2010.

**ثانيا: المراجع:**

8. أبو نواس: ديوانه، شرح محمود أفندي واصف، المطبعة العمومية بمصر، ط1.
9. أحمد توفيق المدني، الإبراهيمي كان أمة، كان جيلا، كان عصرا، مجلة الثقافة، ع 87 مايو 1985.
10. أحمد فتوح أحمد:الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة مصر، دط، 1984.
11. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط2، 1996.
12. باعزيز بن عمر : من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، منشورات الخبر، الجزائر، ط2، 2007.
13. ابن جني: الخصائص، دار الفكر، بيروت لبنان،ط2، دت.
14. شكري فيصل: قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي، ضمن كتاب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، دار الأمة، الجزائر، ط2، 2007.
15. عبد الرحمن شيبان: الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية، ضمن كتاب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، دار الأمة، الجزائر، ط2، 2007.
16. عبد الرزاق قسوم: اللغة العربية في العهد الاستعماري، مواقف الإمام الإبراهيمي، عالم الأفكار للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007.
17. عبد الملك مرتاض:فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1983.
18. عز الدّين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، بيروت لبنان، ط03، 1981م.
19. ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت لبنان، دط،دت.
20. ابن قتيبة: غريب الحديث، تحقيق ودراسة ألسنية رضًا السَّويسي، الدار التونسية، تونس، دط، 1979.
21. محمد إبراهيم الكتاني: الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، العدد2، 2010.
22. محمد عباس: البشير الابراهيمي أديبا، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران الجزائر، دط، دت.
23. محمد ناصر بوحجام:أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1992.